خواطر تاريخية

عدنان الحسني

"اعلام"

الرحالة ابن بطوطة الجزء الاول

انبرى للتدوين والتعريف بعض الرجال الذين حاولوا اكتشاف المعالم وعادات الناس واختلاف الطبائع فراحوا يجوبون الارض بحثا عن الوقائع والحقائق ولم يساورهم الملل ولا الكلل بل انهم فرحوا بذلك واحبوه ومن هؤلاء الذين صاروا اعلاما في مجال اختصاصهم محمد اللواتي.. المعروف بابن بطوطة اذ اطلق عليه الباحثون رحالة العرب هذا الرجل عرف بشغفه للعلم الجغرافي وادرك انذاك ان هذا العلم لابد له من المسايرة والمعاينة لذلك اخذ يجوب اصقاع الارض يبحث عن المعالم الجغرافية ويدون عنها الكثير حتى انه كان دقيقا في نقل التفاصيل واسعفه في ذلك سعة ادراكه وعلمية بحوثه عن تلك الاراضي والانهار والتضاريس.. ويرجع ذلك الى طريقة عيشه وتربية اهله له حيث ترعرع في جو من التقوى والكبّ على دراسة العلم اذ انه لم يتفرغ الى ما يصبو اليه الشبان من جيله وفي عصره بل راح يعود نفسه على استيعاب الدرس واستخلاص العبر واخذ يبحث عن الاشكال والاشياء الا انه الى جانب ذلك كان يساعد اباه في عمله ولما كان ابوه يعمل في السوق وبالتالي فان السوق لابد له من وجود التجار القادمين من مختلف البلدان كان كلما جلس الى احدهم سأله عن احوال تلك البلاد عن ماهية عادات اهلها وعن مناخها وعن عادات اهلها فاخذ يكون الافكار ويبحث في التصورات المترتبة ويدون كل ذلك وكان هذا بوادر مسيرته في ما وصل اليه.. ثم انه كان يذهب الى ميناء طنجة في تونس حيث كثرة السفن المغادرة والراسية فجلس الى الملاحين والربّان بالسفن يستقصي عن الحقائق وعن الجزر الضائعة والجزر التي يرسون عندها ويسال عن الاعاجيب في القارات.. فلما بلغ العشرين من عمره او اكثر من ذلك بقليل حتى شد الرحال الى الحج وكانت هذه المدونات هي اول ما كتب عنه ابن بطوطة اذ عرّج على تلمسان وبقي فيها عدة ايام وغادرها الى مدن اخرى في طريقه الى الحجاز ومما يذكر ان هذا الرحالة الذي اصبح مثالا للترحال والغربة في اول مشواره كان يعاني من شدة الحنين الى اهله وناسه وبلده الا ان القدر كان هو الحاكم في ما آلت اليه شخصية هذا الرحالة ليكون اكثر مثالا للرحالة العبقري.. فكان حينما يمر بمكان يستحق عنده الوقوف يدون انطباعاته عنه ولكنه تدوين فيه دلالة التقاط الغريب من التكوين والتعريف بالمدن في البنيان او الاحاطة بالمكان "ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي في خارجها والمسمى عندهم بعمود السواري وهو متوسط في غابة نخل.. وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد اقيم على قواعد حجارة مربعة ولا تعرف كيفية وصفه هناك ولا من وضعه" هذا وصف لمدينة الاسكندرية حيث زارها الرحالة ابن بطوطة وقد اعجب ايما اعجاب بوادي النيل حيث راح يصف المكان وصفا دقيقا رائعا كانه لوحة فنية اذ يكتب:

"هي ام البلاد وقرارة فرعون ذي الاوتاد، ذات الاقاليم العريضة والبلاد الاريضة.. ومحط الضعيف والقادر بها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل.. وفيها من السقائين على الجمال اثنا عشر الف سقاء وبها ثلاثون الف مكار وفي نيلها من المراكب ستة وثلاثون الفا للسلطان والرعية، تمر صاعدة الى الصعيد ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط بانواع الخيرات والمرافق وعلى ضفة النيل مما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة..

ويستدرج الرحالة في وصفه بالاضافة الى ما رأى من المعالم والاماكن والتنويع الجغرافي ليصل الى وصف حال اهل مصر حيث يكتب: واهل مصر يطلقون في حوانيتهم الحلل والحلي وثياب الحرير..

Breath Deep Breath

بقلم: عراقي كلداني

تقول الأسطورة الأغريقية "اليونانية" بأن الشمس والريح تنافستا سوية على أنتزاع ثوب الراعي في البرية والمصنوع بيده من دباغة جلد الضأن السميك، فكانت بداية المحاولة للريح في يوم غائم ممطر قارص وشديد البرودة بحيث كلما أشتدت وزادت قوة الرياح وصريرها، أشتد تمسك الراعي بثوبه ولكن بعد بزوغ نورالشمس وازاحتها للغيوم وملامسة أشعتها لجسد الراعي وكنتيجة حتمية لدفء جسمه يقوم طواعيا بأنتزاع الثوب دون أجبار أو أكراه في ذلك ...أنتهى ألاقتباس... كم هي النصائح الجيدة وألامثال الرديئة العديدة والمتشعبة والمتداولة في حياتنا اليومية والمتسارعة في هذا العصر الحديث -عصر العلم- حيث في كل يوم يكسب العلم مواقع جديدة فيزيد الحياة عظمة وصعوبة في أن واحد، وقيل سابقا ألامثال تقال ولا تقاس، فكم في مفردات لغتنا العربية الجميلة من الأمثال الرديئة كلنا ولا نزال نتدوالها ونستخدمها في حياتنا اليومية وعلى سبيل المثال... تمخض الجبل فولد فأرا... العذر أقوى من الذنب ... ما حك جلدك مثل ظفرك ...اليأخذ أمي يصير عمي.... أما في ما يخص الأمثال الشعبية العراقية الأصيلة فأذكر منها... لاحظت برجليها ولا أخذت سيد علي... في الوجه أية وفي الكفة سلاية... وعصفور كفل زرزور وثنينهم طيارة..... ألخ، أما النصيحة الجيدة فقد قيل في الامثال - لا تقدم النصائح الالمن يطلبها-، فحين نثق بشخص ما، نتخذ منه ناصحا أو ناقدا، فالسماح على قبول النقد والنصيحة والمبادرة الى طلبهما أهون من النقد الذي يأتي تطوعا من ألاخرين وعندما تشعر بالحاجة الى شيء فأنك تتفاعل معه وتتعاطاه أكثر مما لو يعرض عليك وانت معرض عنه، فمثلا نصائح الشيخوخة تضيء دون أن تحرق مثل شمس الشتاء، فقد تستثقل نصيحة أخ أو أخت أو صديق في مثل سنك، لكنك لا تجد حرجا في قبول نصيحة كبار السن لأنك تتعامل معهم على أنهم حصيلة تجارب طويلة وعريضة وعديدة من العمر، فكيف بنصيحة الجالس على كرسي الرئاسة وقمة الهرم الامريكي الرئيس المنتخب ديمقراطيا والمرقم ٤٤ للولايات المتحدة الامريكية السناتور والمحامي باراك حسين أوباما في مقولته الشهيرة "تنفس نفسا عميقا"!!! ولأي شخص في العالم دون أستثناء وذلك حتى يفكر مليا وجيدا في كيفية حل أي مشكلة عرضية وبصورة فعالة والتقليل من شأنها قدر المستطاع والتي تصادفه وتواجهه في حياته اليومية، ومن يتقبل بتسديد النصيحة القيمة اليه هو أنسان، شجاع، مخلص، متواضع، واثق من نفسه ولديه القدرة والاستعداد لتطوير نفسه ومؤمن بتفادي أرتكاب الاخطاء، ولا يحب الغرور أو التعالي والاستنكاف من الأخرين، حينئذ يصل الشخص الى أعلى المراحل من النضج الفكري والثقافي والمتمثل بصحوة الروح والعقل والارادة...... والسؤال يطرح نفسه والموجه لكافة الاحزاب العراقية الحالية والممثلة للخليط الفسيفسائي والشبيه بألوان وأطياف قوس والقزح للشعب العراقي العظيم كافة سواءا كانوا من "العرب الشيعة أو السنة أو الاكراد والتركمان والارمن والصابئة والايزيدين والشبك والكورد الفيليين أم من شعبنا الكلداني السرياني الآشوري"، هل آن الأوان كي ننسى أو نتناسى الماضي القديم والبعيد والقريب ونتنفس نفسا طويلا وعميقا...؟ تنفس يالخي وزميلي ورفيقي وجاري وقريبي وصديقي وعضيدي ونسيبي العراقي ولو لفترة زمنية قصيرة جدا لكي تزيل وتمحوا الذكريات الاليمة والموجعة والاخطاءالجسام سواءا العفوية أوالمقصودة منها حيث لا يمكن لأي طرف تحميل أحد المسؤولين عن فعل غيره، وبعدها تتنفس الصعداء لهزيمة وقهر العدو اللدود للأنسان كائنا من كان وهو القلق الذي يسكن ويعشش على عقولناورؤوسنا ونفوسنا فيقتل من أمننا ويسلبها طمأنينا ويقوض سلامة الحياة فينا ويقف سدا منيعا لسعادتنا ونجاحنا وتطورنا!!! وفتح صفحة وعهد جديد فيما بيننا كي ندعو لشمس الحرية والديمقراطية والمساواة تشرق من جديد على جبال وسهول وربوع عراقنا الخالد والتليد، فالانسان السوي والمجبل على الخير والطيبة ويأبى الظلم ولا يحبه ولا يحب أن يمارسه ضد غيره، لذلك فهو يأبى في معظم الاحيان أن يرد الأذى بالأذى... وقيل -لا تزروا وازرة وزر أخرى-، وتقبلوا مني هذه النصيحة المتواضعة والثمينة ككاتب عراقي كلداني وطني من الوريد والى الوريد لا بل الى حد نخاع العظم.... ولأختم مقالي بالمثل الآنكليزي الشهير.... لا مكان أفضل من الوطن... والى الملتقى.

EAST OR WEST HOME IS BEST

سرجون الاكدي ومدينة اكد المفقودة

فؤاد يوسف قزانجي

في وثائق مكتبة نينوى العظيمة، وجد رقيم يتحدث عن اصل الملك سرجون او سركون Sargon وطفولته وهي ذات شبه كبير برواية طفولة النبي موسى المشهورة في الكتاب المقدس. ويلاحظ في هذه الرواية انما جاءت على لسان سرجون نفسه "اي بضمير المتكلم" اذا يقول: "ان امي كانت كاهنة، ولم اعرف ابي وكان متجولا، واصلي من مدينة "ازوفيرانو" ويرجح العلامة طه باقر ان تكون مدينته "زعفران" على الفرات. وحملت بي امي ووضعتني في سلة مقيرة مصنوعة من الحلفاء، وغطتها ورمتني في الماء "لانه يحرم على الكاهنات الانجاب" الذي لم يغرقني، وحملني الماء الى "اكي" ساقي الماء "بستاني" فانتشلني ورباني واتخذني ولدا، وعينني بستانيا عنده. وبينما كنت بستانيا احبتني عشتار، وتوليت الملوكية طوال اربع و... سنة". لان النص منخرم من هنا، ولكن يمكن اكماله في نص اخر في رقيم سومري ومما جاء فيه: "ان سرجون كان ساقيا عند ملك كيش المسمى "اور- زبابا" ونال سرجون رضى الاله مردوخ الذي غضب على ملك كيش لانه اهمل شعائر معبده ايساكيلا في بابل" ويظهر ان سرجون قد نشأ وترعرع في مدينة كيش. وتشير اخر المكتشفات ان مدينة كيش تعد من اقدم المدن في العراق القديم وتمتلك صفات حضارة سامية كما يعتقد الاثاري والمؤرخ كيلب Gelb اذ ان مملكة كيش ظهرت ابان وجود السومريين ثم امتد نفوذها الى منطقة مملكتي ايبلا في اقصى شمال سوريا ومملكة ماري فيما بعد. وان حضارتها فريدة ولم تدرس جيدا اذ تعود الى اقوام سامية لعلهم كانوا يمثلون العراقيين القدماء او الفراتيين الذين عاشوا في قرى زراعية على ضفاف الفرات قبل مجيء السومريين، اذ ليس لدينا دليل اثاري يشير الى انهم جاءوا من خارج بلاد الرافدين كما هو الحال بالنسبة للاموريين والاراميين وغيرهم. وكان سرجون قد استقل عن تبعية الملك "اور - زبابا". واستطاع ان يكوّن له جيشا ويستولي على بعض المدن السومرية. وكان هذا مظهرا من مظاهر استقلاله عن مدينة كيش ثم قام ببناء عاصمة له ثم سار جنوبا واحتل مدينة اور المقدسة ثم استولى على لكش وتم اخضاع مملكة اوما وكرسو وغيرها وبذلك يكون قد سيطر على جنوب العراق ومنطقة الخليج العربي وتجارتها.

وتمثل ملامح الامبراطورية الاكدية الجديدة، التي امتدت من البحر المر او البحر الاسفل "الخليج العربي" وشمالا وشرقا حتى البحر الاعلى "المتوسط" مظاهر حضارة جديدة وتغييرا اساسيا في بنية شعب العراق القديم: فعلى الصعيد اللغوي بدات اللغة الاكدية وهي لغة سامية تاخذ المكان البارز بكونها اللغة الرسمية الى جانب اللغة السومرية. واستمرت هذه اللغة في بروزها ونفوذها وتفوقها على اللغة السومرية في القرون التالية من الزمن الى ان صارت اللغة السائدة في بلاد ما بين النهرين وسوريا وعيلام كما تحدث فيها الاشوريون والبابليون والكاشيون والى جانب اللقب السياسي الذي ابتدعه لوكال زاكيزي ملك دولة سومر اتخذ سرجون وحفيده نرام- سين لقبا جديدا هو ملك الجهات الاربع. في نص من تل العمارنة في مصر ان جماعات من التجار الاكديين كانوا يقيمون في المدينة المسماة "بروسخندا" ارسلوا الى سرجون يستعطفونه لحمايتهم من الاضطهاد الذي كان يمارسه حاكم المدينة، فاستجاب سرجون لندائهم. كما ورد ان سرجون استولى على اقليم "كفتارا" يرجح الاستاذ طه باقر ان المقصود به جزيرة كريت الواردة بهذه الصيغة تقريبا "كفتورا" في التوراة. كما وجدت اختام اكدية في جزيرتي كريت وقبرص "١". ويذكر ان الملك سرجون الاكدي قد قدم ابنته الاميرة "انخيدوانا" الى معبد الاله "ننا" في اور مع خدمها وحاشيتها كي تقود بخدمة الاله وتشارك في اعياد رأس السنة "الاكيتو". اما اكد Akkad او اكادة Agada فقد شيدها سرجون الاكدي "٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ق.م." عاصمة لدولته سومر واكد. ان مدينة اكد يعتقد بانها تقع في تلول خارج مدينة اليوسفية التي تبعد "٦٠ كم" جنوب بغداد. و كان احد الاثاريين البريطانيين لانكدن Langden قد ذكر ان مدينة اكد تقع في تل الدير بالقرب من ضفة قناة اليوسفية الشمالية. وقد اجرت مديرية الاثار العراقية تنقيبات في الموضع فلم تجد اثارا تدل على وجود مدينة اكد. وكان والس بج Budge قد حفر في تل الدير ايضا خلال سنة ١٨٩١، وذكر انه وجد في هذا الموضع مساكن تعد من ضواحي مدينة سيبار المقدسة، والتي لاتبعد سوى بضعة كيلومترات عن سيبار، بينما هناك ما يؤيد وجود اثار سورين كبيرين، ووجود بوابة لهذه المدينة يقع في الزاوية الغربية لها. وكان احد المنقبين وهو العلامة كيلب Gelb قد عثر في سيبار على رقيم او لوح من الحجر يتحدث عن مدينة اكد ربما جلب الى سيبار في اعياد راس السنة "الاكيتو"، وكان اللوح يتحدث عن فأل سيء اصيب به سرجون الاكدي لانه اخذ من تراب بابل الى مدينته القريبة. وهناك من يعتقد من المؤرخين ان اكد بنيت بالقرب من بابل التي كانت انذاك بلدة صغيرة في زمن السومريين ويعزون هذا الرأي بان معبد الالهة المحبوبة عشتار لعله كان في اكد، وبحسب نصوص جديدة لها صلة باعادة تعمير سيبار واكد في زمن الملك البابلي الامير نابونائيد، ان مدينة اكد كانت قائمة او موجودة بالقرب من بابل حتى سقوط الدولة البابلية الاخيرة "٥٣٩ ق. م." وكانت بعثة عراقية قد تهيأت للحفر قرب سيبار وبابل ولكن الاهتمام بالتنقيب العاجل في الاراضي التي سيملأها خزان سد القادسية دعتهم الى ترك الموقع، ولذلك فانه لايزال حتى الوقت الحاضر لم يكتشف موقع اكد عاصمة اول امبراطورية في العالم وبانتظار من ينقب عنها و يكشف عن اثارها النفيسة "٢".

وبما ان الاثار الاكدية قليلة، فلابد لنا ان ننتقل الى موقع "تل براك" اذ يقع في اقصى شرقي سوريا الذي يبعد "٣٨ كم" عن مدينة نصيبين. ونرى ان الموقع له علاقة باسم المدينة التي كانت قائمة في زمن الرومان حيث اطلقوا عليها "لاكوس بيراكي" اي بحيرة براك التي كانت موجودة انذاك على بعد "١٨ كم" عن الموقع الحالي.

وقد نقّب في الموقع ماكس مالاوان فوجد قصران الاول رجح ان يكون قصرا اكديا كبيرا يعود الى الملك الاكدي الرابع نرام سين "٢٢٥٤ - ٢٢١٨ق. م." والثاني يعود الى فترة اقدم. ويبدو ان الموقع يضم قرية زراعية قامت في حدود الالف الثالث قبل الميلاد التي بنيت على انقاضها مدينة اكدية محصنة بنيت في حدود عام "٢٣٠٠ ق. م.". والقصر الاكدي مبني على شكل قلعة، حيث كان معقلا لحماية الخطوط الطويلة للقوافل بين عاصمة اكد ومدن الامبراطورية الاكدية التي امتدت الى كبدوكيا اذ استولت على مملكة الالاخ في اقصى سوريا. وفي الحقيقة كان القصر له قاعات واسعة ربما كانت مخازن للحبوب التي تنتجها البلدات والقرى في تلك المنطقة. وكان القصر محاطا بسور وزوج من الابراج. سمي البناء بالبيت الكبير الذي سجل على احد الرقم الطينية التي وجدت في مكتبة القصر، تزيد مساحة البناء على هكتار من الارض. ومن المحتمل ان المدينة كانت تنمو فيها اشجار مثل البلوط والدلب التي ما تزال تنمو قرب الموقع. كما عثر في القصر على بقايا عظمية للاسود علاوة على عظام لفصيلة الكلبيات وكذلك الخنازير والماعز والابقار والخيول. ومن الجدير بالذكر انه عثر على نقش جميل يمثل بطلا ملتحيا كث الشعر من سلسلة كلكامش، ونقش بجانبه نجمة خماسية وراس اسد، لعله كان جزءا من صندوق يعود الى احد من كبار القوم. ولاشك ان الهدف من هذه القلعة، كان للقيام بحملات للحصول على خامات المعادن الثمينة علاوة على الحبوب. وقد وجد في القصر تمثالا للملك سرجون الاكدي ومسلة لنرام سين وهما محفوظتان في متحف اللوفر مع عدد من الرقم الطينية. "٣" ويذكر ان الاقوام البربرية الكوتية اجتاحت المملكة الاكدية في عام "٢٢٠٠ ق.م." وكانت قادمة من خلف جبال زاكروس، وبقيت في بلاد الرافدين زهاء "٨٠عاما" وكان مركزها في مدينة نوزي قرب ارانجا، ولم يخلفوا اثارا تذكر، وظلت كيش وكثير من المدن السومرية في جنوب العراق محتفظة باستقلالها وكذلك مدينة آشور، ويبدو ان وجود الكوتيين كان يتركز في شمال شرقي العراق.

المصادر

"١" باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، "ط٢/ ١٩٨٦" ص٣٦٢ - ٣٦٣.

"٢" akkad: the lost city. Iraq review. April jan 1986 "p. 28"

"٣" مالوان، ماكس. مذكرات مالوان. بغداد: دار المأمون، ١٩٨٧ "ص١٣٩ - ١٤٥".

مسيحي "أقلياتي" أستاذا في ثانوية النجف!

عزيز الحاج

أما الأستاذ المسيحي، فهو اللبناني إسكندر حريق، وأما الزمن، ففي بداية الثلاثينات الماضية. الصحفي، والأديب المتميز، الفقيد جعفر الخليلي، ينقل لنا القصة في كتابه البديع "هكذا عرفتهم".

يقول إنه في تلك الفترة كانت ثانويتا النجف، والموصل، مثار دهشة رجال المعرفة والعلم، لتقدمهما المطرد، ونشاطهما الدءوب، ولذا كانت وزارة المعارف "التربية"، تعطي أهمية خاصة لتزويد الثانويتين بمدرسين ذوي كفاءات عالية، وكان معظمهم من اللبنانيين، والسوريين، ولكن الغالبية كانوا مسيحيين.

ظلت الوزارة تتردد طويلا في إرسال مدرس مسيحي للنجف خوفا من ردود الفعل السلبية للسكان، كما أنه لم يكن سهلا على أستاذ عالي الكفاءة أن يقبل بإيفاده للنجف، حيث ضعف كل الخدمات عهد ذاك، من كهرباء، وماء نقي، وعلاج طبي. بعد التردد الطويل قررت الوزارة أخيرا إيفاد أفضل أولئك الأساتذة، ممن يمكنهم أن يضحوا في سبيل المعرفة والتعليم بالكثير من وسائل الراحة الشخصية، وقد وقع الاختيار على إسكندر حريق، المولود في ظهور الشوير، وخريج جامعة كولومبيا الأمريكية، والذي كان قد طاف أغلب أقطار القارة الأمريكية.

يقول الخليلي في الجزء الأول من مؤلفه:

"جاء إسكندر إلى النجف، وقد وضع كل هذه الأمور نصب عينيه، وكان يقول إنه لم يكن يفكر في شيء من هذه الأشياء بقدر ما كان يفكر في كيفية اندماجه في المجتمع النجفي، وكسب رضاه، فإذا بكل شيء يتلاشى في ذهنه، وإذا إسكندر يتبوأ في أيام قليلة محلا قلما ظفر به أحد من أبناء المسلمين، فكيف بمسيحي ينتقل الى عاصمة المسلمين ليتولى تعليمهم، وليقوم بتدريس علم الاجتماع!!"

كانت النجف عهد ذاك تضم شرائح ممن ينعدم في نظرهم "أي فرق يأتي من الجنسيات، والأديان، والمذاهب". هذا الأستاذ المسيحي، اللبناني، صار صديقا لعدد غير قليل من كبار رجال الدين أنفسهم، كالشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محسن شرارة، وغيرهم.

لماذا أورد هذه الواقعة من تاريخنا الحديث؟

أوردها بمناسبة قرار البرلمان العراقي الذي يطمس تمثيل من ندعوهم "الأقليات"، أي الأقلية العددية بالنسبة لعدد المسلمين العرب.

لقد بادر عدد من الكتاب العراقيين إلى شجب ذلك الموقف التمييزي، وكان عنوان أحد المقالات "كلنا أقليات"!

إن قضية إسكندر حريق كانت مثالا، من أمثلة كثيرة لا تعد، عن التعايش الأخوي بين سكان العراق، على رغم تباين الدين، والمذهب، والقومية. نعم إنه كان "عراق ذلك الزمان"، والوصف مقتبس من كتابي "بغداد ذلك الزمان"، الصادر علم ١٩٩٩، واخترت بغداد لكونها قلب العراق، والنموذج الأول لعراق أيام زمان.

في ذلك الكتاب كرست فصولا، خاصة عن دور المسيحيين واليهود في التاريخ السياسي، والثقافي، والاقتصادي، والعلمي العراقي، وأوردت مثال ساسون حسقيل كوزير، منذ العشرينات، كان يشغل مواقع وزارية هامة، والعالم الكبير، الصابئي المندائي، عبد الجبار عبد الله، في عهد عبد الكريم قاسم، الذي أشغل منصب رئيس جامعة بغداد، وعن الألوان القومية، والدينية، والمذهبية المتعددة في الحياة الأدبية، والعلم، والطب، والرسم، والنحت، والموسيقى، والغناء.

كان عراق الأخوة برغم السياسات العنصرية، أو الطائفية، لبعض الحكومات المتعاقبة. كان عراق الليالي الساهر، والملاهي والسينمات والغزل، مثلما كان عراق المآتم الحسينية، ومناقب المولد النبوي. تلك الملاهي؟ نعم، وقد عرفها العراق منذ أواخر العهد العثماني، وبقيت في كل ظروف العراق الحديث، دون أن يجرؤ سياسي، أو رجل دين على غلقها، أو المطالبة بذلك، ولا ندري ونحن إذ نسأل: ماذا يقول علماء الدين اليوم، عن غزليات العالم الشيعي الكبير محمد سعيد الحبوبي، الذي كان من ضمن ما كتب:

يا غزال الكرخ، وا لهفي عليك
كاد سري فيك أن ينتهكا

نعم، لقد تعرض تنوع النسيج العراقي، بأديانه وطوائفه وقومياته، إلى شروخ كبرى في عهد رئاسة صدام حسين، من تمييز قومي ومذهبي، وعندما انتقلنا لعراق اليوم، فقد زاد خراب النسيج على خراب، وهو ما كرسنا له خلال السنوات المنصرمة، عشرات المقالات عند الحديث عن مآسي المسيحيين والصابئة المندائيين، وعن قتل كبار رجال الدين المسيحيين، وحرق الكنائس، والتهجير الجماعي، دون أن تصدر، على حد علمنا، فتوى دينية واحدة تدين، وتحرم، تلك الجرائم الوحشية.

إن الدفاع عن المسيحيين ليس مسا بالإسلام كما يتنطع بعض الكتاب في البلدان العربية، بل هو دفاع عن رسالة التسامح، المفترض أن تنادي بها الأديان، ودفاع عن حقوق الإنسان، ونحن في القرن الحادي والعشرين.

أخيرا، انتهز هذه الفرصة لأحيي بحرارة كتابنا الشجعان الذين هبوا لإدانة قرار البرلمان، هؤلاء هم الحريصون على مصالح شعبنا، وترسيخ وحدته الوطنية، تحت خيمة العراق الواحدة.

صدق أو لا تصدق

شليمون داود أوراهم

• أن شعبا أصيلا في بلاد الرافدين.. يُعتبر صاحب إحدى أعرق الحضارات في العالم، سن أول قانون واكتشف العجلة والكتابة والوقت "تقسيم الزمن"، وإذا به صار اليوم أقلية في وطنه. وبدلا من أن يُفكر الشركات.. عفوا: الشركاء الآخرون لماذا وكيف صار أقلية!!، يُظهرونه وكأنه شعب مُستضعف دخيل يستجدي الفتات من الحقوق.. وهم يمنون بها عليه!!!.. "شكرا جزيلا.. سوينة زحمة عليكم"!.

• أن عدد أعضاء مجلس النواب العراقي ٢٧٥ عضوا، وأن العشرات منهم لم يحضر أية جلسة للمجلس.. أللهم إلا الجلسة الافتتاحية الأولى وجلسة أخرى أو اثنتين بروتوكولية، وأن عدد الحضور في الجلسة التي تم فيها التصويت على مقترح منح مقعد واحد فقط لكل مكون من المكونات القومية والدينية المسماة صغيرة.. كان ١٥٠ عضوا، أي أقل من ثلثي أعضاء المجلس، وأن عدد الأصوات التي نالها المقترح كان ١٠٦ أصوات، أي ما نسبته "٣٨,٥ %" من العدد الكلي لأعضاء مجلس النواب. بمعنى أن "٣٨,٥ %" فقط من أعضاء البرلمان قرروا وحددوا مستوى تمثيل وشراكة مكونات أصيلة للشعب العراقي في بناء "العراق الجديد"!!.. وهي التي عملت على بناء العراق القديم.. منذ نحو سبعة آلاف من السنين!!.

• أن كتلة جبهة التوافق العراقية في مجلس النواب لم تلتق أو تتفق يوما مع كتلة الائتلاف العراقي الموحد على أية قضية أو رأي أو مقترح منذ انتخاب مجلس النواب الحالي. وكذلك الحال مع القائمة العراقية والفضيلة والتيار الصدري. لكنهم اتفقوا وللمرة الأولى بشأن تقليص مقاعد المكونات الصغيرة إلى الحد الأدنى.

إذن.. يحق لهذه المكونات أن تفتخر بحقيقة أنها حتى وهي مظلومة ومغبون حقها.. تكون سببا للوحدة والمصالحة الوطنية!!.

• المثل يُضرب ولا يُقاس عليه.. والذين أبدوا حرصهم الشديد على الهوية العربية لمحافظة نينوى وخشيتهم البالغة من تعرضها للخطر.. إنما طبقوا أو جسدوا المثل الشعبي المصري المعروف "سلب الحمار ومسك البردعة"!!.

• أننا علمنا من مصدر مطلع رفض الكشف عن "برجه".. أن بعض الكتل والقوى السياسية تعاني نقصا حادا في عدد المقاعد الموجودة في مقراتها في بغداد والموصل بحيث لا تكفي لجميع الضيوف في المناسبات المختلفة، مما حدا بها للسعي الى الاستحواذ على مقاعد المكونات القومية والدينية الصغيرة لسد هذا النقص!!.

• أكد برلمانيون عراقيون أن عدد المقاعد المحجوزة للقوميات الصغيرة والتي تم اقرارها مؤخرا في مجلس النواب وبواقع مقعد واحد لكل قومية ستكون لهذه الدورة فقط من انتخابات مجالس المحافظات، وذلك بسبب عدم وجود قاعدة بيانات وإحصاءات سكانية دقيقة. أما في الدورة التي تليها ومع وجود إحصائية سكانية "هذا إن بقي شيء من السكان".. سوف يتم تخصيص "قاعدة" مقعد للمسيحيين.. ورجل كرسي واحدة لكل من المكونات الثلاثة الأخرى.. ليكون المجموع مقعدا واحدا ناقص رجل!!.

• أن تصريحا للسيد جلال الطالباني رئيس الجمهورية تصدر عناوين وسائل الإعلام المختلفة وظل يدور ويدور على سبتايتل عدد من الفضائيات العراقية والعربية والعالمية مفاده أن سيادته لن يوقع على أي قانون يلحق الضرر بالمكونات القومية والدينية في العراق ويحرمهم من حقوقهم الدستورية، في إشارة إلى المادة خمسين من قانون انتخابات مجالس المحافظات.. والتعديلات التي أجريت عليها وقلصت تمثيل هذه المكونات فيها إلى الحد الأدنى. ثم، وبعد نحو ثمان وأربعين ساعة فقط. تلقينا "ببالغ الحزن والأسى" نبأ مصادقة هيئة الرئاسة العراقية الموقرة على هذا التعديل، مع وعد من هذه الهيئة بتقديم مشروع يعيد الحق إلى هذه المكونات.

مصادر غير مطلعة كشفت عن أن أحد أوجه هذا المشروع يتمثل بتعويض ممثلي هذه المكونات عن المقاعد الملغية.. من خلال تكريم كل منهم بهدية.. هي عبارة عن حقيبة يد "شنطة" دبلوماسية، أرقامها سرية.. لكي يحفظوا فيها أوراقهم الشخصية والرسمية!!.

• وفي نبأ متصل أكد السيد وزير الكهرباء الموقر في الحكومة العراقية أن وزارته أقرت على وجه السرعة تنفيذ خطة تقضي بتجهيز المناطق والبلدات والأقضية التي يسكنها أبناء المكونات القومية والدينية الصغيرة في العراق بالتيار الكهربائي لثلاث ساعات إضافية عن سواها من المناطق يوميا.. وذلك من خلال تخصيص "كوتا" لهم تستقطع من المنظومة الكهربائية العامة المخصصة لعموم العراق. لكن الجهات "العليا" المختصة لم توافق إلا على ساعة واحدة فقط!!. فيما أعلنت وزارة التجارة أنها ستضيف إلى الحصة "التموينية" المقدمة لهؤلاء المواطنين كميات مضاعفة من الصابون والتايت والمواد "المطهرة".. لكي "يغسلوا أيديهم" بشكل جيد من كل ما يُقدم لهم من وعود في العراق الجديد!!.

• أن المطرب الخاص.. عفوا: الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في العراق ستيفان دي مستورا أعلن أنه يحترم قرار مجلس النواب العراقي بتقليص مقاعد الكوتا للمكونات الصغيرة إلى مقعد واحد. وأضاف في حديث لصحيفة "يا بط يا بط" الجيبوتية أنه قدم مقترحه القاضي بتخصيص ثلاثة مقاعد للمسيحيين في كل من بغداد والموصل على أساس أنهم "كلدان سريان آشوريون". لكن.. "والحديث لا يزال للسيد اللامستور.... ": وبما أن أهل الدار أدرى بما فيها، فقد كان البرلمان العراقي أكثر واقعية وشفافية واعتبر أن هؤلاء إنما هم شعب واحد وبالتالي تكون حصتهم مقعدا واحدا أسوة بباقي المكونات الصغيرة!!!!.

• أن مصادر غير موثوق بها كشفت عن أن عددا غير قليل من المسؤولين الحكوميين العراقيين أعربوا عن استنكارهم لما تعرضت له المكونات القومية والدينية في العراق من تهميش وإقصاء في قانون انتخابات مجالس المحافظات مبدين تعاطفهم مع هذه المكونات. حتى أن وزير الهجرة والمهجرين أكد أنه في حال لم يتم إنصاف هؤلاء فإنه سيفكر بشكل جاد في الهجرة. فيما أعلن وزير البيئة أنه يفكر بتقديم استقالته لأنه لا يستطيع العيش في مثل هكذا.. بيئة!!.

قالوا

• أن يطعنك أحدهم في ظهرك فهذا أمر وارد، ولكن أن تلتفت وتجده أقرب الناس إليك فهذه هي الكارثة!!.

• كل ظالم يختلق لنفسه ألف عذر وعذر ليقنع نفسه بأنه فعل الصواب!!.

• إذا كنتم تحبوننا فربما نحبكم وربما لا نعبأ بكم، ولكن إذا كنتم تكرهوننا فتأكدوا أن الكراهية لا تقتل سوى صاحبها!!.

أخيرا

• اجتمع الأخوة الأعداء.. ليسحقوا أمتي عن بكرة أبيها.. وكل واحد يقترح أقدس شر عنده. منهم من قال: نهمشهم.. وآخر: نقصيهم.. وثالث: نقتلهم.. ورابع: نهجرهم، ولكن سوف تبقى آثارهم.فاتفقوا وقالوا: نبلعهم.. لكي لا يبقى لهم أثر. بلعونا.. فغصوا واختنقوا بنا!!.